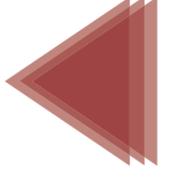


# ظاهرة ثقافية تونسية في رجل واحد

علي اللواتي

الناقد والمسرحي الذي يتبع شاعرا

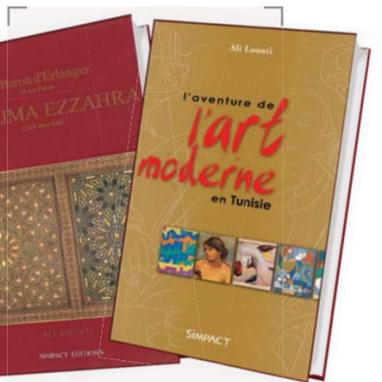


فاروق يوسف  
كاتب عراقي

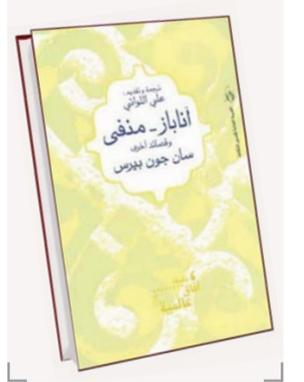
الناقد الفني والشاعر والرسام وكاتب المسلسلات والمترجم والمسرحي ومنسق المعارض ومؤسس المنشآت الفنية في شخص واحد. تلك ظاهرة لم يمثّلها في مستواها الرفيع سوى رجل واحد في العالم العربي هو علي اللواتي. لم يكن في كل ما فعله دون مستوى الاحتراف العالي. لذلك فقد كان اعتزاله الظهور العلني قد ترك فراغا كبيرا في الحياة الثقافية التونسية بعد أن أدار مركز الفن الحي لسنوات طويلة. حين النظر إليه فإن كل جهة من جهاته تكفي لتأكيد موقعه الاستثنائي، لا بين أفراد جيله المتمرد حسب بل وأيضا بين مثقفي التنوير التونسيين عبر الأجيال. وهب الفن التشكيلي التونسي قوة دفع، حين تبني تجارب فنية، كان من الممكن أن تقع ضحية لسوء فهم ثقافي. وفي الشعر سعى أن لا ينخرط في الشعرية التونسية بعد أن ارتقى بلغته إلى مستوى رائعة سان جون بيرس "أناياز". فكان معجمله الشعري لا يعتمد المفردة لذاتها بل بما هي مشحونة به من صور.

## مبتكر أفكار ثورية

في حياته العملية كان بارعا في تأسيس قواعد ثابتة للعمل الثقافي ولم تغره التظاهرات المؤقتة التي لا تزال تهيم على الحياة الثقافية في تونس وهي سبب غياب التجارب الأصيلة وسط ضباب الاحتفالات الاستعراضية. كان في عمله رجل مبادئ لم يتعرض للاهتزاز أو التراجع. لذلك فقد تعرضت كل المنشآت التي أقامها إلى النسف بعد غيابه بسبب طغيان الروح الشعبوية التي لم تستطع التفاعل مع مبادئه. حدائشي غير أن شغفه بالشعر العربي القديم لا يظن عليه. وفي الفنون،



أهمية اللواتي مؤرخا تكمن في حسه النقدي الرفيع وقدرته على التمييز بين ما هو ضروري وراسخ وعميق وبين ما هو سطحي وزائل ومؤقت



اعتزال اللواتي الظهور العلني يترك فراغا كبيرا في الحياة الثقافية التونسية، بعد أن أدار مركز الفن الحي لسنوات طويلة، وترجم الشعر وكتبه، واشتغل في النقد الفني ورسم وأدار منصات مسرحية، ووضع سيناريوهات للمسلسلات التلفزيونية «الصورة لمركز الموسيقى العربية والمتوسطية الذي أسسه اللواتي».

الرسم السريالي و"الرسم الأوروبي بتونس" و"علي بن سالم" و"فتح بن زكور" و"الهادي السلمي" و"أحمد الحجري" و"الفن التشكيلي في تونس". أهمية اللواتي ناقدنا تكمن في انفتاحه على التاريخ والعكس صحيح أيضا. ذلك لأن أهميته مؤرخا تكمن في حسه النقدي الرفيع وقدرته على التمييز بين ما هو ضروري وراسخ وعميق وبين ما هو سطحي وزائل ومؤقت.

الشعراء الفرنسيين على مستوى اللغة. وحين يتمكن المترجم من تفكيك تلك اللغة وإعادة تركيب بنيتها الداخلية عبر لغة أخرى فإن ذلك الإنجاز يشير إلى طاقة شعرية لا يملكها إلا شاعر.

## الرسام الهارب من الكتابة

ولأن ذلك العمل قد أُعتبر إعجازيا فقد صار نص "بيرس" بلغة اللواتي بمثابة حاجز صعب على الكثيرين اختراقه في محاولاتهم ترجمة بيرس.

ذلك ما انعكس على تجربة اللواتي الشعرية التي تميزت بقوة اللغة من الداخل، فكانت شعرية المشاعر والأشياء تتبع شعرية اللغة في غموض مقاصدها وتنوع دلالاتها. أن يكون الرسام ناقدنا بحجم علي اللواتي فتلذذ في حد ذاتها معضلة كبيرة. لقد ألف اللواتي عن الفن التشكيلي الحديث في تونس، ناقدنا ومؤرخا كتبنا عديدة، نذكر منها "مغامرة الفن الحديث في تونس" و"التجريد في الرسم التونسي" ورؤى الرسام الهارب من

المياه". ربما أصدر كتبنا شعرية أخرى لا علم لي بها، غير أن ترجمته المدهشة لقصيدة الشاعر الفرنسي سان جون بيرس الطويلة "أناياز" تعتبر واحدا من أهم إنجازاته الشعرية. ذلك لأن بيرس كان واحدا من أصعب

تونس" واحدا من أهم مراجع الحداثة الفنية في تونس. نال جائزة الدولة للنقد الفني عام 1997 وجائزة الطاهر حداد عام 2001. وتوزع نشاطه بين الخدمة العامة والتأليف الشخصي. وفي كلا الجانبين كان أثره واضحا في الحياة الثقافية بسبب عمق أفكاره وثبات ثقته المطلقة بالفن. فهو متمردا على القوالب الجاهزة في العمل الثقافي فإنه انحاز إلى تحسين فكرة المؤسسة القادرة بكفاءة على الحفاظ على الموروث الفني، وتطوير الوعي الجمالي لدى عامة الناس والارتفاع بذائقتهم الجمالية إلى مستوى يليق بهم مطلقا لا يحط من قيمة العمل الفني. كان رجل تاريخ متوازن مثلما كان ناقدنا شرسا.

## لغة الشعر التي يتبعها

"أولا وأخيرا أنا شاعر" يقول اللواتي في جواب على سؤال تقليدي يتكرر ذي علاقة بتعدد انشغالاته الفنية. وفي ذلك تفسير لشغفه بما يقوم به كما لو أنه يكتب الشعر. "إنه الغلالة التي تغلف كل فعل خلاق بالرقعة". تعريف يُخرج الشعر من نطاقه الكتابي إلى دائرة صفاته. فالشعر يحضر في كل ما يقوم به من غير أن تكون هناك قصائد مكتوبة. أصدر اللواتي "أخبار البئر المعطلة" تلاه بكتاب "في مجيء

حياته العملية تقوم على تأسيس قواعد ثابتة للعمل الثقافي. لم تغره التظاهرات المؤقتة التي لا تزال تهيم على الحياة الثقافية في تونس وهي سبب غياب التجارب الأصيلة وسط ضباب الاحتفالات الاستعراضية

لذلك احتلت كتاباته موقعا متقدما في الفكر الفني الحديث بتونس، وهو ما جعل منه واحدا من أهم نقاد الفن ومؤرخيه في العالم العربي. غير أن اللواتي حين يمارس الرسم فإنه يضع نفسه في مازق. يقول البعض ممن يرى أن ما قدمه اللواتي رساما لا يرقى إلى مستوى إنجازه النقدي. يقول اللواتي توضيحا لذلك الالتباس ما معناه إنه يمارس الرسم ليتسلل. وهو في ذلك إنما يضع الرسم في مجال الهواية وليس الاحتراف. فهو يتجه إلى الرسم حين يتعب من الكتابة.

الرسام الهارب من الكتابة هو بالنسبة للواتي ضرورة حياة، كما أن التجربة العملية تجعل الناقد قريبا من مواد وتقنيات الرسم وهو أمر فيه الكثير من الفائدة. فإذا كان الشاعر يرعى لغته فإن الرسام يقوده في نزعات مفعمة بالحياة.

